من جمال الحياة

يا جمال الحياة ، ما زلتَ دفاقاً ، جديد العَطاء ، كالينبوع
تعشق النفسُ انْ تَرُودَك ، نشوى ، بين سيل الجراح ، بين الدموع

دهمَ الليلُ عصرنا ، وهو يجري ، وهو يجري ، كالجدول الرَّقراق
من وراء الظلام ، تنبثق الاضواء ، حرّى ، من وثبةٍ وانطلاق .

اننا — يا حياة — ننسج منك الشعر ، بكراً ، من نبضك المستمر ،
من لهاث المسلول ، من سكتة الميت ومن جمجة الحطى وهي تسري

قيل : «دبَّ الصقيع ، في كل عرق ، بعدان كان ، كالشّواظ ، يجَنُّ»
من تبعثر اشلاءه ، ظُفُر الموت ، ويشتد بالرَّدى ، فهو نحنُ .

خلف هذي القضبان ، تشتد أرواحٌ ، وتحت السياط ، دنيا تثور
كل زنزانةٍ ، تضمُّ جريحاً ، هي نارٌ ، للمؤمنين ، ونور .

يدُنا — ياحياة — شُدَّت الى الأعصُر ، تمضي بجرحها ، ونغنّي ،
ونغنّي ، خلف الجبال من الأحزان ، شمساً وضيئة ، كالتمني

ظلمُتنا ، لم يزل يسيرُ ، ويمتـــدُّ ، فراشاً للبائسين ، طريّا
فرحٌ ، في قلوبنا ، مُستجدٌّ ؛ كان حياً ، ولم يزلْ بعدُ حيّا

حمص — نصوح فاخوري

كما هاجم الطغيان في كل خطرة من خطرات قلمه .. طغيان الأفراد وطغيان الحكومات ، ودعا الى القوة ومكافحة الاستعمار في كثير من مقالاته ، أذكر منها على سبيل المثال « لو — يا شباب العرب — في محنة فلسطين — وفي كثير من احاديث الباشا .. » في الجزء الثاني . ودعوته الى الثورة كانت دعوة مستجابة ، ولا اختار لها إلا مقالة واحدة كان يستمليها من عالم الغيب ، هي مقالة « الرجل الالهي » . تلك المقالة التي اختارتها وزارة المعارف المصرية لتكون أنموذجاً لادب الرافعي او لادب القوة فيما قررته للسنة التوجيهية بمدارسها في عام الثورة الميمون ، فيها تصوير للاستبداد كيف يقتل الشعب ، وفيها منهج للتحرر كيف يكون ، وفيها وصف مستوعب لبطل الثورة المنقذ ، حتى أشكل على الطلبة فحسبوها كتبت بعد الثورة بقلم من اقلام ابطالها .

انا أوصي ناقد الرافعي — كما انصح لكل ناقد — ان يتروى ويتمعن قراءة ادبه قبل ان يهاجمه ، فانه لن يرضى عنه فحسب ، بل سيخرج من قراءته صديقاً ينتصف له ، ومهما كان الناقد ثائراً فسوف يجد الرافعي قد سبقه أشواطاً وأشواطاً .

فليس أخطر على الأثر الادبي من القراءة السريعة ، وليس أضر بسمعة النقد الأدبي من النظرة السطحية .

أقول هذا وانا ما زلت اذكر شيئاً يثير الضحك والاشفاق معاً .. اذكر اني قرأت نقداً لأغنية الاستاذ محمد عبدالوهاب التي مطلعها : احب عيشة الحرية * زي الطيور بين الاغصان وقد تحامل الناقد وشهر ، وانصب نقده وتشهيره على قوله :—

مطرح ما يبجي في عيني النوم انام وانا مرتاح البال

وقال حضرة الناقد ما معناه : كيف يقال هذا في نشيد عسكري يردده الجنود في ميدان القتال ؟ كيف ينام الجندي في اي مكان يأتيه النوم ؟ كيف تسمحون يا رجال الجيش ان يُقرر هذا النشيد العسكري وفيه هذا البيت ..

وانبعث في ثورته على النشيد ومؤلفه ومنشده ، والجيش وقواده ، وأقام الدنيا وأقعدها على هذا الاساس .

وتساءلت بين الحيرة والاشفاق : متى كان هذا النشيد عسكرياً ؟ وفي اي جيش من جيوش (التنابلة) قرر هذا نشيداً ؟ .. تساءلت فلم أزد على ما أعلم من انها اغنية تعبيرية استدعاها مشهد من مشاهد احدى روايات عبدالوهاب ، ورثيت لحضرة الناقد النزيه الذي راح ضحية الوهم الخاطىء ، وان كان أمثاله من الناقدين كثيرين ينقدون على طريقة « لا تقربوا الصلاة ... فويل للمصلين .. »

★

وبعد .. فهل أراني مكتفياً بهذا الحديث عن هذين الاديبين دليلاً على تجني المتجنين ، والانتصاف لبراءة الابرياء ؟

لسنا معصومين ، ولكننا نرجو — أبداً — ان نكون منصفين . فأنصفوا التاريخ من انفسكم ايها النقاد ، وحرروا موازينكم من الزيغ والخلل اذا فرضتم انفسكم قادة وموجهين .

ولا تثيروا تراب القبور ، ولا تؤرقوا عظام الآباء في مراقدهم ، فما في مثل هذا كبير فخار ، ولا عظيم ثناء .

القاهرة : رضوان ابراهيم